المثل القرآنية العليا في معالجة الخطيئة الاجتماعية، سورة التوبة أنموذجاً ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾

الأستاذ المساعد الدكتور
سلمان باقر الخفاجي
الكلية الإسلامية الجامعة - النجف الاشرف

توطئة:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ (١).

السنّة الإلهية في خلق الإنسان هي الفطرة السليمة النقية ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (٢)، بالتسوية والإتقان والإبداع والتقديس جاء من روح الله تعالى التي بُثّت هبة ونعمة خالصة في هذا المخلوق المبارك: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾.

هذا المخلوق التكاملي، أنّى له بالخطأ والخطيئة؟ وإذا كان الإنسان بهذه الرصانة والحبكة الدقيقة فكيف تجوز عليه الخطايا؟ وهل لهذا المخلوق المقدس من حصانةٍ تقيه شر هذه البلية؟ وهل من سبيل للخلاص من هذا الداء الوبيل؟.

تساؤلات علمية موضوعية سيجيب عليها البحث إن شاء الله تعالى بالتحليل والدراسة والاستقراء لعلنا نصل إلى إدراك أبعاد هذه الظاهرة الاجتماعية الخطيرة التي تكاد تودي بالمجتمعات الإنسانية وبالذات مجتمعنا العربي الإسلامي والعراقي منها.

انقسم البحث على ثلاثة مباحث:

الأول منها: الخطيئة لغة واصطلاحاً، حيث طاف كتب اللغة والأدب واستقصى آثار هذه الكلمة وسعة آفاق اللغة العربية في معاني مفرداتها، والمقارنات اللغوية في شعب

معاني هذه المفردة ودلالاتها، فنافت المعاجم والمصادر التي رجعنا لهذا على خمسة، وبعدها تابعنا دلالات هذا المفهوم اللغوي ومصاديقه في مصادر ومراجع التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع لنحدد قدر إمكاننا المعنى الاصطلاحي للخطيئة ومصاديقها الحياتية الواقعية في محاولة جادة ودقيقة للوصول إلى إجابات شافية لتساؤلات فرضية البحث التي مرت علينا في السطور السالفة.

أمّا المبحث الثاني: فتابع أقوال العلماء في الخطيئة، فانتظم في ثلاثة مطالب هي: أقوال علماء المسلمين واخصهم الأئمة الأطهار(عليهم السلام)، والمطلب الثاني: أقوال علماء النفس والتربية، أمّا المطلب الثالث فنظر في أقوال وآراء فقهاء القانون.

والمبحث الثالث: اهتم بدراسة سورة التوبة المباركة فانتظم في ثلاثة مطالب أيضا هي: المامة عن سورة التوبة والمطلب الثاني تصدى للتصنيف القرآني للخطيئة ـ سورة التوبة انموذجاً ـ فوقف على أنماط الخطيئة. أمّا المطلب الثالث فاستقصى المعالجات القرآنية للخطيئة عامة وخصوصاً في سورة التوبة.

وبعدها جاءت نتائج البحث وهوامش البحث ثم مصادره ومراجعه.

وهكذا تصدى البحث لمفهوم (الخطيئة) فيما وسعه من مصادر اللغة والاختصاص التربوي والسلوكي والنفسي والاجتماعي واخصها محكم التنزيل المجيد بعد التأمل والتمعن ليقف على المنهاج الأسمى الذي وضعته السماء لبلورة شخصية الإنسان الأمثل الذي هو غايتها في هذا الكون وهو خليفة الله سبحانه في الأرض. فبعد إتقان الخلق، أحاطته السماء بالعناية المطلقة، فحددت له التشريعات ـ الدستور الإلهي ـ قبل خلقه لتضمن هذه التشريعات الحصانة لهذا الإنسان لتبعده بذاته وواقعه: فمن هو؟ وكيف هو؟ ولماذا هو؟ والى اين هو؟ وأكد ذلك منطق الكمال المطلق: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾ (٣) فيوضات رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما بأنه وضع علامات الدستور أي حدوده وأحكامه ومبادئه ـ ثم خلق الإنسان التكاملي كي لا يكون على عماية، ثم مكّنه من البيان والمعرفة حتى لا يتخبط خبط عشواء، فبعث الأنبياء والرسل وانزل الصحف والكتب وختامها فرقان المصطفى صلى الله عليه وآله.

وإننا إذ نعرض لكم بضاعتنا فإننا قاصرون لا ندعي الكمال لله تعالى وحده ولا

العصمة فهي للأنبياء والأئمة الأطهار، ولكن هي اسهامة متواضعة تطالبكم بصدق إكمال نقصها وتصويب خطئها لتصل إلى حد أنً تنال رضا الله تعالى وقبول المؤمنين وتشفي صدور المصلحين وتنفع عباد الله الصالحين والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

الخطيئة لغة واصطلاحاً

المطلب الأول: الخطيئة لغة

تعددت أقوال علماء اللغة والأدب وتشعبت في تفسير معنى هذه المفردة الهامة وتعمقت في دراستها لتحديد أبعادها اللغوية، فوقفنا أولاً على قوال الفراهيدي(٤)، خطئ الرجل خطئاً فهو خاطئ، والخطأ: ما لم يتعمد، ولكن يخطأ خطأ، وخطأته تخطئه، فالخطيئة: المأثم، وقال: الخطيئة ارض يخطِئها المطر ويصيب غيرها، واخطأ إذا لم يصب الصواب، وخطايا أصلها خطائي.

ونقل الحربي(٥) عن الأصمعي قوله: خطِئ يخطا خطأً، وأخطأت أردت شيئاً فصرت إلى غيره، ورميت شيئاً فلم أصبه، من اخطأ يخطئ إخطاء، وخطأ والفاعل مخطئ ومكان مخطأ فيه، وخطأ في الطريق اهون من خطأ في الدين.

وقال الجوهري:(٦) الخطأ نقيض الصواب، وقد يمد، وقرئ بهما قوله تعالى:﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً﴾﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ النساء: ٩٢ والخِطء: الذنب في قوله تعالى:﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ أي إثما، ونقل عن الأموي قوله: المخطئ من أراد الصواب فصار إلى غيره، والخاطئ من تعمد لما لا ينبغي، وجمع الخطيئة خطايا، وكان الأصل خطائي، فلما اجتمعت الهمزتان قُلبت الثانية ياءً، لان قبلها كسرة ثم استثقلت، وفارق فلان الخطيئة، أي خالطها.

وقال الفيروزآبادي(٧): الخطأ والخطاء ضد الصواب، والخطيئة، الذنب أو ما تعمد منه، كالخِطء، بالكسر، والخطأ ما لم يُتعمّد، وجمعه خطايا وخطائي.

ونقل أبو هلال العسكري(٨)، في حديثه عن الفرق بين الخطأ والأخطاء، قول أبي عبيدة: خطأ واخطأ: بمعنى واحد، لمن يذنب على غير عمد، وقال غيره: (خطأ) في الدين و(أخطأ) في كل شيء عامداً كان أو غير عامد. وقيل: خطأ:إذا تعمد ما نهي عنه، فهو

خاطئ، واخطأ: إذا أراد الصواب فصار إلى غيره.

وقال العسكري: ويناسب لمعنى الأخير عبارة الدعاء في الصحيفة الشريفة:(أنا المسيء المعترف الخاطئ)(٩) فانه (عليه السلام) أراد الإقرار على نفسه بالمعاصي متعمداً بقرينة ما بعده، وهو قوله (عليه السلام): (أنا الذي عصاك متعمداً)(١٠)، ويستشهد العسكري بقوله تعالى حكاية عن المؤمنين: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا ﴾ (١١)، فان المراد: المعاصي الواقعة عن عمد، لأن الصادر عن غير عمد لا مؤاخذة عليه، فلا يناسبه استدعاء المغفرة، مع أنه قد سبق سؤال عدم المؤاخذة عليه في قولهم: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (١٢).

وفرّق العسكري بين الخطأ والخطّاء، فقال: إنّ الخطأ هو أن يقصد الشيء فيصيب غيره، ولا يطلق إلا في القبيح، فإذا قُيّد جاز أن يكون حسنا، مثل أن يقصد الخطأ فلا يكون إلا قبيحا، والمصيب مثل المخطئ إذا أطلق لم يكن إلا قبيحاً. فالصواب لا يكون إلا حسنا، والإصابة تكون حسنة وقبيحة، والخاطئ في الدين لا يكون إلا عاصياً، لأنه قد زلَّ عنه لقصده غيره، والمخطئ يخالفه، لأنه قد زلَّ عما قصد منه، وكذلك يكون المخطئ من طريق الاجتهاد مطيعاً لأنه قصد الحقَّ واجتهد في إصابته.

واستطرد أبو هلال العسكري لإشباع الموضوع بحثاً، فتحدث عن الفرق بين الخطأ والذنب، فقال: الفرق بينها أن الذنب يطلق على ما يُقصَدُ بالذات، وكذل السيئة. والخطيئة تغلب على ما يقصد بالعرض، لأنهما من الخطأ، كمن رمى صيداً فأصاب إنسانا، أو شرب مسكراً فجنى جناية في سكره، وقيل: الخطيئة، السيئة الكبيرة، لأن الخطأ بالصغيرة أنسب، والسوء بالكبيرة الصق.

وأوضح أنَّ الخطيئة ما كانت بين الإنسان وبين الله تعالى والسيئة ما كان بينه وبين العباد، ثم فرق بين الخطيئة والإثم فقال: أن الخطيئة قد تكون غير تعمد ولا يكون الإثم إلا تعمداً، ثم كثر ذلك حتى سُميت الذنوب خطايا، كما سميت إسرافا، واصل الإسراف مجاوزة الحد في الشيء.

وقال ابن منظور(١٣): الخطيئة ـ الذنب على عمد، والخِطء: الذنب في قوله تعالى:

﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ (١٤) أي إثما، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾﴾ (١٥) (١٥) أي آثمين.

المطلب الثاني: الخطيئة اصطلاحاً:

مما تقدم اتضح لنا أنَّ للخطيئة أبعادا لغوية واسعة تمهد لفهم المعنى الاصطلاحي عند العلماء، والذين تعددت الصيغ عندهم وأساليب التعبير في تحديد هذا المصطلح، إلا أنهم يتفقون على جوهر أو مضمون واحد، يتلخص في أن الخطيئة هي تصرف منكر مجانب للصواب، بعيد عن العقلانية، والإرادة الصالحة، المحكوم بعوامل عقلية ـ خلل ولو طارئ ومؤقت في الفعل ـ ونفسية تربوية، وحضارية ذاتية، أو خارجية ضاغطة، مادية كانت أو معنوية، فردية أو عامة، أكرهت الفطرة الطبيعية السليمة فأخرجتها عن طبيعتها المستقيمة إلى سلوك شاذ منحرف، يتنافى والطبع الإنساني القويم. وتتبع ذلك آثار أخرى، فبعد خروج الإنسان من تلك الحالة اللاطبيعية والمخاض النفسي المبدئي العسير، يعود إلى هدوئه فيستكين، يلحُّ عليه حينها شعور نسبي فيضغط على وجدانه، فتتملكه إرهاصات من الندم اللامحدود، سينازعه نزغ شيطاني فتعتريه حالة هستيرية قد ينهار فيها الوجدان وتنكسر الذات، فيولد شعور رهيب قد يقضي على صاحبه يطلق عليه البعض، عذاب الضمير، ويحدد المؤمنون بأنه الفطرة الإلهية التي فطر عليها الناس جميعاً، بل هي الناموس الذي يلازم الإنسان ويلاحقه حتى يبعده عن الزيغ، وهي صورة من صور صراع الخير والشر في النفس الإنسانية، فربما تنتصر نوازع الخير فيشتد الضغط النفسي والطرق على ذهنية الخاطئ فتقتله الحسرة والشعور بالندم فيقتله تناسباً مع عظم وخطر الخطيئة.

وقد تتملك المخطئ حالة من التخبط والعشوائية في السلوك والتصرف، مما يتسبب بالخلل في استقامة الحياة واضطراب نواميسها، وهذه دلالة من دلالات الإيغال في الخطايا له آثار وضعية سلبية على تلك النواميس والموازين بما ينتج عنه كوارث طبيعية، وأبدع الخالق جل وعلا بوصفه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ (١٦).

وصدّق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ذلك وبيّن لنا صدور هذه الظاهرة

الإنسانية الطبيعية بقوله: ((ان العقوبات التي نزلت بالأمم والأجيال والأفراد من ضعف وذلٍ وفاقة وسوءِ حال، إنما كانت بما كسبوا من ظلم و عدوان، وما لبسوا من جهل وفسادِ أحوال، ملكتُه التقوى، وهي التحفظ من الوقوع فيما جلبَ تلك العقوبات لأهلها، فمنعته عن تقحّم الشبهات والتردي فيها، فان الشبهةَ مظنةً الخطيئة، والخطيئة مجلبة العقوبة))(١٧)، وهما الذنب أو الذنوب والإثم أو الآثام، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾ (١٨)

وورد عن النووي(١٩)، في شرحه للحديث الشريف قول الحبيب المصطفى ﷺ: (اللهم طهرني من الذنوب والخطايا والعيوب حتى تتوفاني وأنت راضٍ عني) قال النووي: يحتمل أن يكون الجمع بينهما كما قال بعض المفسرين للآية الشريفة السالفة الذكر: الخطيئة المعصية بين العبد وبين الله تعالى، والإثم بينه وبين الآدمي وورد لفظ العصيان وهو في الشريعة يقابل الخطأ والخطيئة في تعبير القوانين الوضعية ولكن التعبير بالعصيان أدق في دلالته على المعنى المقصود، وهو مخالفة أمر الشارع من التعبير بالخطأ والخطيئة، فضلا عن أن التعبير الأخير يؤدي إلى الخلط بين لفظ الخطأ بمعنى غير المتعمد وبين لفظ الخطأ بمعنى مخالفة الشارع(٢٠)، وإجمالا فإنها مسميات(الخطيئة، الذنب، الإثم، المعصية)، وان تباينت في بعض مؤداها، في النتيجة هي واحد لأنها تعني السلوك غير السوي المجانب للطبيعة الإنسانية النقية المؤدية إلى ظلم النفس وظلم الآخرين بأي وجه أو مستوى كان والله تعالى أعلم بحقائق الأمور.

فرضية البحث:

إذا كان الإنسان هذا المخلوق العجيب الذي خاطبه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (أتحسب أنّك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر)(٢١)، المخلوق الذي كوّن في أحسن تقويم، ثم كرمته السماء: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (٢٢)، فأنّى له بالخطيئة؟ ولم يرتكب الخطيئة؟ ولماذا وكيف تجوز عليه الخطيئة؟ وهل له حصانة من تلك الخطيئة؟ وكيف الخلاص من الخطيئة؟.

اسئلة حائرة تبحث عن أجوبة شافية، سيحاول البحث أن شاء الله تعالى أن يجيب

عنها بما وسعته المعرفة وما استطاع أن يدركه من مفردات هذا الداء الوبيل.

المبحث الثاني

أقوال العلماء وفقهاء القانون في الخطيئة

المطلب الأول:أقوال علماء المسلمين:

الخطيئة حالة مرضية ابتليت بها الخليقة فأول من اخطأ من الجن إبليس حين عصا ربه فلم يسجد كما. أمره الله تعالى ولم يتب فكان من الغاوين، وأول من اخطأ من الأنس آدم (عليه السلام) بتركه الأولى في الحضرة الإلهية ثم تاب وأصلح فكان من الصالحين، وللأنبياء والأوصياء والأولياء الصالحين أقوال في الخطيئة نورد بعضها:

١. رها في أعينكم فتجتمع وتكثر فتحيط بكم.....)(٢٣)،وعنه صلوات الله وسلامه عليه في تهذيب النفس:(أيها الناس تولوا من أنفسكم تأديبها، واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها)(٢٤).

٢. في دعوته (عليه السلام) لتأديب الإنسان نفسه قبل الآخرين:(مَنْ نصّب نفسه للناس إماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم)(٢٥).

٣. وفي معادلته (عليه السلام) بين العلم وإصلاح النفس قال:(كلما ازداد علم الرجل ازدادت عنايته بنفسه، وبذل في رياضتها وصلاحها جهده)(٢٦).

٤. من دعاء للإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ: (الهي إليك أشكو نفساً بالسوء أمّارة، والى الخطيئة مبادرة، وبمعاصيك مولعة....)(٢٧)

٥. وعن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قوله:(ما من شيء افسد للقلب من خطيئة، أن القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله)(٢٨).

٦. وعنه (عليه السلام):(ولا تتبع الخطيئة في معدنها ـ أهل الخطيئة ـ فتندم فان الخطيئة موعد اهل النار)(٢٩).

٧. وعنه (عليه السلام):(إنّ الخلق الحسن يميث الخطيئة كما تميث الشمس الجليد)(٣٠).

٨. وعنه (عليه السلام):(أن الخطيئة لا تكفّر الخطيئة ولكن الحسنة تحط الخطيئة...)(٣١).

المطلب الثاني:أقوال علماء النفس والتربية في الخطيئة:

قول علماء النفس في الخطيئة:

يحدد علماء النفس السلوك الآدمي في شتى مجالات نشاطه في مجالين أساسيين هي(الاستجابة) حيال (مثير) معين٣٢، بمعنى آخر كما يقول علماء الفيزياء(الفعل ورد الفعل)، مهما تنوع الفعل إيجاباً أو سلباً ومهما كان رد الفعل إيجاباً أو سلباً. وعليه فالخطيئة عند علماء النفس هي أما فعل سلبي ابتداءً لاسباب تتعلق بجانبين من الشخصية الإنسانية وهما الجانب الإدراكي مثل: التفكير التخيل، التذكر، النسيان، والجانب الوجداني، مثل: الإرادة، الرغبة، الانفعال...ألخ، اورد فعل سلبي لفعل سلبي.

وتعددت تفسيرات العلماء في هذه الأفعال واستجاباتها، فهناك من فسّرها على أنّ الإنسان غريزي في حركته، فشخصيته مجموعة غرائز تحركه، وهناك استجابة(انفعالية) قبال كل غريزة وتبنّى هذا الرأي (مكدوكل) وأحصى(١٧) (غريزة) وظهرت نظرية مخالفة لها تماماً وقالوا: إنّ السلوك الإنساني غير مبني على أصل واحد وهو غرائز (وراثية) بل هناك البيئة المؤثرة تأثيراً فعالاً في تحديد شكل (الاستجابة) ونوع (المثير).

أمّا النظرية الإسلامية فتضع فارقاً بين الأصل البيولوجي والأصل النفسي - السايكولوجي - من جانب، وتحدد أساساً فطرياً عاماً لكل الأصول: بيولوجية كانت أم نفسية من جانب آخر، فهنا تمكنت النظرية بأبعادها العلمية الواسعة أن تعطي التفسير الأصوب للخطيئة من الناحية النفسية والبايولوجية الموروثة بالأصل، أو البيئية - المؤثر الخارجي - النسبي في المكان والزمان، فالسلوك الإنساني يتحدد بثلاث فعاليات أولهما(الإدراك) ثم فعالية(الانفعال) بالشيء، وبعدها يجيء دور(النزوع) نحو تحقيق الشيء، وعليه فان(الغريزة) جاءت مرحلة ثالثة من سلسلة العمليات النفسية، فلابد للمربي أن يعنى بمرحلتي(الإدراك) و(الانفعال) ويجعل منهما أساساً نفسياً سابقاً على أية(غرائز) محركة لسلوك الإنسان، فيجتهد لتهذيب المرحلتين الأوليتين (الإدراك والانفعال) ليهذب الغرائز ويجعل دافعيتها ايجابية.

وقد حدد الإمام علي (عليه السلام) أصول النفس الإنسانية وأبعاد الطبيعة البشرية بقوله:(إنّ الله ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت

شهوته عقله، فهو شر من البهائم ٣٣)، فالإمام علي (عليه السلام) يثبت أن طرفي التجاذب اللذان يحركان الكائن الآدمي، يتسم بطابع البحث عن اللذة والاجتناب عن الألم، أي أن أحدهما باحث عن(الإشباع) والآخر(كابح)، وأوضح في مقام ثان صلوات الله وسلامه عليه بقوله:(إلا وان الخطايا خيلُ شمسٍ حُمِلَ عليها أهلها وخُلِعَت لُجَمُها فتقحمت بهم في النار)٣٤.

والشمس جمع شموس ـ أي مانع ظهره أن يركب، وفاعل الخطيئة انما يقترفها لغاية زُيِّنت له يطلب الوصول اليها فهو شبيه براكب فرس يجريه إلى غايته، لكن الخطايا ليس إلى الغايات بخطايا فإنها اعتساف عن السبيل واختباط في السير، لهذا شبهها (عليه السلام) (بالخيل الشُمسُ) التي قد (خلعت لُجُمَها) لان من لم يلجم نفسه بلجام الشريعة أفلتت منه إلى حيث ترديه وتتقحم به في النار، ووصف الطرف الثاني من التجاذب في السلوك الإنساني: (العقل) (التقوى) (إلا وان التقوى مطايا ذلل ـ ذلول المروضة الطائعة السلسة القياد ـ حمل عليها أهلها وأعطوا ازمَّتها فأوردتهم الجنة)٣٥

المطلب الثالث:أقوال فقهاء القانون:

تعددت أقوال فقهاء القانون في الخطيئة ـ الجريمة ـ وفق مدارسهم القانونية ومذاهبهم الفقهية، وإجمالا فإنهم اتفقوا على المفاهيم الآتية:

إنّ كلّ عمل منه إيذاء يعدُّ جريمة في ذاته، لان الجريمة إفساد، وتفويت للمصالح المقررة في الشرع الإسلامي وفي غيره من الشرائع السماوية والوضعية والمطلوب دائماً حماية هذه المصالح.

وعلى هذا فإنّهم قسموا الجرائم على قسمين: جرائم مقصودة وجرائم غير مقصودة، فالجرائم المقصودة: هي الجرائم التي يباشرها الشخص عامداً مريداً لها، عالماً بالنهي عنها وبأنها معاقب عليها وعلى ذلك فالجرائم المقصودة لابد ن تستوفي ثلاثة عناصر، تعمد لها، وإرادة حرّة مختارة لفعلها، وعلم بالنهي.

والجرائم غير المقصودة: هي التي فقدت عنصراً من هذه العناصر، فإذا كانت خطأ لا تعد مقصودة، وكذلك إذا كانت بالإكراه الملجى لا تعدُّ جريمة مقصودة، لان المجرم ما قصد القتل في ذاته، ربما قصد إنقاذ نفسه على كلام في ذلك بين فقهاء القانون(٣٦).

والخطأ على نوعين، خطأ في القصد، وخطأ في الفعل، فالخطأ في القصد مثلاً أن

يرمي من يظنه عدواً محارباً فيتبين انه وطني مسالم. والخطأ في الفعل، ولذلك أن ترمي هدفاً مقصوداً، فتنحرف الرمية وتصيب شخصاً، فكان الخطأ في الفعل، إذ القصد سليم ولكن الفعل هو الذي نبا.

وإنّ لهذا التقسيم فائدة في الشريعة والقانون جليلة، فان الجريمة المقصودة هي عدوان مقصود، فهي إثم بنيتها وبارتكابها، أمّا الجريمة غير المقصودة فان النية ليس فيها أي إثم، ولذلك لا يعد الشخص مرتكباً جريمة القتل، ما دام لم يقصد إليه، وذلك فيما بينه وبين الله تعالى، ولكن لحرمة الآدمي، ولأنه يذهب دم هدراً، ولحمل الشخص على الاحتياط والاحتراس دائماً حتى لا يقع في مثلها اوجب الشارع والقانون فيه عقوبة(٣٧).

وهناك تفاصيل أخرى لفقهاء القانون وتقسيمات تطول وتتشعب وتبعدنا عن القصد منها: الجريمة المقصودة أو غير المقصودة تقع بالمباشرة من الجاني، واحياناً تكون بغير المباشرة بل يكون بالتسبب.وكذلك فهناك تقسيم آخر وهو الجرائم الواقعة على الجماعة والواقعة على الآحاد ولكلّ منهما توصيف وعقوبة وكذلك توصيف آخر ومنع في حدود: الغلط، والخطأ والجهل، وفيه تفاصيل دقيقة بحسن الرجوع لها للباحث عن المعرفة والفائدة(٣٨).

وناقش فقهاء الشريعة والقانون جوانب المسؤولية الجنائية وأسبابها ودرجاتها، وادخلوا في ذلك مصطلح(العصيان) وقابلوه بالخطأ والخطيئة في تعبير القوانين الوضعية، وقالوا: بان التعبير بالعصيان أدق في دلالته على المعنى المقصود(٣٩).

وتحدث محمد مصطفى القللي(٤٠)، عن أساس المسؤولية الجنائية، والعلاقة السببية، والقصد الجنائي، والخطأ وأسباب الإباحة وموانع المسؤولية، ولمزيد من الاطلاع يرجع له لطفاً.

ومن هذه الالمامة السريعة يتضح لنا التوافق في المفاهيم والمصاديق بين اللغويين والإسلاميين والقانونيين في تحديد مفهوم ومصطلح الخطأ والخطيئة وأبعادها ودوافعها وآثارها ومعالجاتهما الشرعية والقضائية، ما يمهد لنا الدخول في صلب الموضوع(المثل القرآنية العليا في معالجة الخطيئة).

المبحث الثالث

سورة التوبة المباركة والتصنيف القرآني

حين نمعن النظر في وحي السماء، نقف على التوصيف الدقيق لطبيعة الإنسان وتكوينه البيولوجي والسيكولوجي والسلوكي وأحواله المتعددة، والآثار الوراثية والبيئية عليه وكيف تحدد مسارات حياته، والمخاض النفسي الداخلي للإنسان بين قوى متصارعة متجاذبة في وجدانه، تضعف وتقوى نسبياً وفقاً لمجمل تلك الأحوال والمكونات لشخصيته، فمما عبرت عنه السماء في ذلك وصفها للنفس الإنسانية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠﴾ (٤١).

وأدق ما عني الوحي المبارك بدراسة الخطيئة، وتحديد معالجاته هي سورة التوبة المباركة التي نزلت لتجسد فكر السماء ورؤاها ومعالجاتها الناصعة لهذه الظاهرة الإنسانية المتداعية.

المطلب الأول: ما سورة التوبة وما أسماؤها؟:

سورة مدنية نزلت استكمالاً لمعطيات سورة الانفال وحيثياتها ورساليتها، والإطار العام لها هو التوازن بين الإنذار الصاعق للمشركين والمنافقين، والمتخاذلين والمُوقعين بالأمة والمستحوذين على مقدراتها وبين الرحمة في جو الغضب الرهيب حيث ابتداء السورة المباركة بفتح باب التوبة وقبول المنحرفين على أساسها وعدم حرمانهم من أن يستثمروا إنسانيتهم وقواهم الخيرة ليسهموا في بناء الحياة ويكونوا عناصر فاعلة في عملية الإصلاح والتنمية، والتكاملية التي تحقق فلسفة الخلق الإلهي للإنسان على الأرض: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ۝٦١﴾ (٤٢). وقال الإمام أبو عبد الله الصادق (عليه السلام):(وأي قوم احيوا شيئاً من الأرض وعمروها فهم أحق بها وهي لهم)(٤٣).

ومن أسماء هذه السورة:

التوبة لما فيها من ذكر التوبة، وبراءة لافتتاحها بها، الفاضحة لأنها فضحت المنافقين بإظهار نفاقهم، والمبعثرة لأنها تبعثر عن أسرارهم، والبحوث لأنها تبحث عن أسرارهم

والحافرة لأنها حفرت عن قلوبهم ما كانوا يسترونه، والمثيرة؛ لأنها أثارت مخازيهم، والمقشفة لأنها تبرى من آمن بها من النفاق، والمدمدمة أي المهلكة، وسورة العذاب.

روي مرفوعاً إلى عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: (انه ما نزل عليَّ القرآن إلا آية آية وحرفاً حرفاً خلا سورة براءة، وقل هو الله احد، فإنهما أنزلتا عليَّ، ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة كل يقول: يا محمد استوصِ بنسبة الله خيراً)(٤٤) وخالفه في ذلك سيد قطب فادعى أنها نزلت على ثلاث مراحل.

وعن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (لم يزل بسم الله الرحمن الرحيم على رأس سورة براءة لأنّ بسم الله للأمان والرحمة، ونزلت براءة لدفع الأمان والسيف)(٤٥).

ويقول الطباطبائي(٤٦): وقد اختلفوا ـ أي المفسرون ـ في كونها سورة مستقلة أو جزء من سورة الأنفال، واختلاف المفسرين في ذلك ينتهي إلى اختلاف الصحابة ثم التابعين فيه، وقد اختلف في ذلك الحديث عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام)غير أن الأرجح بحسب الصناعة ما يدل من حديثهم على أنها ملحقة بسورة الأنفال.

وعن حريز عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): أن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر مع براءة إلى الموسم ليقرأها على الناس فنزل جبرائيل، فقال: إلا يبلغ عنك إلا علي (عليه السلام) فدعا رسول الله ﷺ علياً وأمر أن يركب ناقته العضباء وأمره أن يلحق أبا بكر فيأخذ منه براءة ويقرأها على الناس بمكة، فقال أبو بكر: أسخط؟ فقال: (لا إلا انه انزل عليه أن لا يبلغ إلا رجل منك)(٤٧)

وهكذا يتحقق لنا أن سورة براءة متعددة الأغراض عالجت حياة المجتمع الإسلامي والمجتمعات المحيطة به من كل جوانبها، وتعمقت في حياة الإنسان وطباعه وتكوينه وخلجاته وما يتمخض عنه من سلوك وتجاذب نجاح وفشل، إيجاب وسلب.

وحددت لها المعالجات الأنجع التي تصحح الانحراف وتحقق الحياة الكريمة للإنسان كما أرادها الله تعالى، وكما أكد ذلك السيد قطب(٤٨): قد تضمنت ـ أي سورة التوبة ـ تصنيف المجتمع المسلم ذاته، وتحديد قيمه ومقاماته ، وأوضاع كل طائفة فيه وكل طبقة من طبقاته، ووصف واقع هذا المجتمع بجملته وواقع كل طائفة منه وكل طبقة وصفاً دقيقاً مصوراً مبيناً. وفي مقام ثانٍ قال:(إنّ هذه السورة ذات أهمية خاصة في بيان طبيعة المنهج الحركي للإسلام ومراحله وخطواته، وبمراجعه فاحصة لأحكام الإسلام النهائية

التي تضمنتها السورة والأحكام المرحلية التي جاءت في سور قبلها، تكشف هذه المراجعة عن مدى مرونة ذلك المنهج وعن مدى حسمه للأمور بمقتضى الحال).

المطلب الثاني: التصنيف القرآني للخطيئة، سورة التوبة أنموذجا:

أنماط الخطيئة:

تعددت الخطيئة وتنوعت تبعاً لطبيعتها وكيفية حدوثها، والدوافع التي أحدثتها والطبيعة السيكولوجية والبيولوجية للمخطئ، والبيئة التي يعيش والعوامل الخارجية الفردية والعامة المؤثرة فيه، وكتاب الله تعالى المحكم أحاط بها جميعاً تسمية وتوصيفاً دقيقاً ومعالجة ناجعة وستتصدى لتشخيص هذه الأنماط من خلال قراءتنا المتمعنة للمصحف الشريف والتركيز الأدق على سورة التوبة المباركة وسنقوم بتحديدها وتصنيفها وفق الأسس والمعايير الآتية:

أولا: المعيار الكمي:

١ـ فردية شخصية.

٢ـ عامة مجتمعية.

ثانياً: المعيار النوعي:

١ـ معنوية.

٢ـ مادية.

ثالثاً: المعيار الجوهري:

١ـ ذاتية.

٢ـ خارجية.

رابعاً: المعيار البيني:

١ـ بين العبد ونفسه

٢ـ بين العبد وجنسه.

٣ـ بين العبد وربه.

خامساً: معيار التوبة:

١ـ خطيئة قابلة التوبة.

٢ـ خطيئة غير قابلة.

أولاً: المعيار الكمي:

من حيث صدور الخطيئة وآثارها فتتصنف إلى:

أ ـ فردية شخصية: وهذه خطيئة تصدر عن فرد واحد باعتقاده الخاص أو بسلوكه الشخصي دون الحاجة للجماعة منهما:

أ ـ اتخاذ الآباء والإخوان الكافرين أولياء: الآية(٢٣): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ قال مجاهد: هذه الآية متصلة بما قبلها منزلة في قصة العباس بن عبد المطلب وعلي (عليهما السلام) قبل الهجرة، قال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: لما أمر الله عز وجل المؤمنين بالهجرة وكانت قبل فتح مكة، من آمن ولَم يكتمل إيمانه إلا بمجانبة الآباء والأقرباء أن كانوا كفاراً، فقال المسلمون: يا نبي الله انا نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وخرجت دارنا، فانزل الله تعالى هذه الآية(٤٩).

المثل القرآنية:

وقال مقاتل: نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن الإسلام فنهى الله عز وجل عن ولايتهم فانزل الله تعالى الآية(٥٠).

وروى عبد الله شبر، عن أهل البيت(عليهم السلام)نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حيث كتب إلى قريش يخبرهم بخبر النبي ﷺ لما أراد فتح مكة وقيل: لما أمروا بالهجرة كان يمنعهم منها أقرباؤهم فتركها بعض لذلك فبين الله أن أمر الدين مقدم على النسب.

وهكذا نستخلص من سياق هذه الآية أنها خطيئة فردية موقوفة على يقين الإنسان وعمق عقيدته.

وشاهد آخر هو الخطأ والزلل عن الإنسان فيتشابه عليه حقيقة الكسب أو التصرف فيخلط الحلال الحرام كما جاء في الآية(١٠٢):﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٠٢ ﴾ (٥١)، قال الطباطبائي(٥٢): من

الأعراب جماعة آخرون مذنبون لا ينافقون مثل غيرهم بل اعترفوا لهم عملاً صالحاً وعملاً آخر سيئاً خلطوا هذا بذلك من المرجو أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم... وتابع قائلاً: إيجاد الرجال في نفوسهم لتكون نفوسهم واقعة بين الخوف والرجاء من غير أن يحيط بهم اليأس والقنوط ـ وهذا من المعالجات النفسية كما سنأتي عليه إن شاء الله تعالى ـ فهنا ترجيح جانب الرجاء.

ب ـ الخطيئة العامة: وهي الظاهرة الخاطئة العامة التي تعم شريحة واسعة من الأمة كما في الآيات المباركات(١و٣)و(٩)و(٢٨): ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ ﴾ ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾ (٥٣).

والبراءة جاءت لأنهم أصروا على غيّهم وشركهم ونقضوا العهد أو همّوا بنقضه(٥٤). وقال السيد قطب:(٥٥) هي تحديد للعلاقات النهائية بين المعسكر الإسلامي والمشركين عامة في الجزيرة، مع إبراز الأسباب الواقعية والتاريخية والعقيدية التي يقوم عليها هذا التحديد.

ومصداق آخر من مصاديق الخطيئة العامة كما ورد في سورة براءة(التوبة) هو عدم نفرة غالبية الناس وخصوصاً المؤمنين استنفرتهم الدعوة للدفاع عن حياض الدين كما ورد في الآيتين(٣٨و ٣٩): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٥٦)، يروي الثعلبي(٥٧): أنَّ الرسول ﷺ لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزو الروم، وذلك زمن عسرة من الناس وجدب من البلاد وشدة من الحر، فشق على الناس الخروج إلى القتال، وكان رسول الله ﷺ قلَّ ما خرج في غزوة إلا كنى عنها وورّى بغيرها إلا غزوة تبوك لبعد شقتها وكثرة العدو ليتأهب الناس وأمرهم بالجهاد واخبرهم بالذي يريد ـ وهذا صدق النبوة مع رعيتها

وعدم مخاتلتهم أو مخادعتهم بغير الحقيقية ـ فلما علم الله تثاقل الناس انزل سبحانه هاتين الآيتين. وروى أيضا عن ابن عباس حين سئل عن هذه الآية فأجاب: أن رسول الله ﷺ استنفر حياً من أحياء العرب فتثاقلوا عنه، فأمسك عنهم المطر، فكذلك كان عذابهم، وروى عن سعيد بن جبير(رض) بإخباره عن القوم المستبدلين: هم بنو فارس، وقال أبو الصلاح: هم أهل اليمن. وقال العلامة محمد تقي المدرسي(٥٨): التيار الرسالي يندفع في الحياة، كما سيل جارف يرعاه رب السماء، وتحركه كل سنن الحياة وأنظمتها، فالمؤمن الواعي يجب أن يكون مقتلعا من الأرض، متحرراً من جاذبية المادة، مندفعاً بالاتجاه السليم الذي يأمر به الله تعالى... والشذوذ عن ذلك يعني الهلاك.

ويعلق السيد قطب(٥٩): (إنها ثقلة الأرض، ومطامع الأرض، وتصورات الأرض، ثقلة الخوف على الحياة، والخوف على المال، والخوف على اللذائذ والمصالح والمتاع، ثقلة الدعة والراحة والاستقرار، ثقلة الذات الفانية والأجل المحدود والهدف القريب. ثقلة اللحم والدم والتراب، والتعبير يلغي كل هذه الظلال بجرس ألفاظه: (اثاقلتم، وهي بجرسها تمثل الجسم المسترخي الثقيل) وفي مقام ثانٍ يقول:(وما من امة تركت الجهاد إلا ضرب الله عليها الذل فدفعت مرغمة صاغرة لأعدائها، أضعاف ما كان يتطلب منها كفاح الأعداء)

وقال السيد الطباطبائي(٦٠)، عن هاتين الآيتين بإيجاز:(وفي الآية وما يتلوها عتاب شديد للمؤمنين وتهديد عنيف وهي تقبل الانطباق على غزوة تبوك كما ورد ذلك في أسباب النزول).

ثانياً: المعيار النوعي:

وتنوعت الخطايا من حيث ماهيتها وجوهرها إلى نوعين:

١ـ الخطايا المعنوية: وهي الخطايا التي اختصت بالمفهوم دون أن يظهر لها أثر مادي، فتعلقت بالجانب الروحي والنفسي للإنسان. ولعل اخطر هذه الخطايا الشرك بالله تعالى والصدود عن سبيله القويم كما وعظ لقمان (عليه السلام) ولده بقوله:﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (٦١)، وما جاء في الآية(٩) من سورة التوبة:﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٦٢)، ومهما يكن الثمن الذي يعطى في مقابل الالتزام بالقيمة المعنوية فانه قليل. إذ إن شخصية الإنسان وكرامته وحتى مدنيته إنما هي بمعنوياته وبمدى التزامه بقيمه في الحياة، انظر كيف إنهم حين باعوا دينهم اخذوا يصدون عن سبيل الله ويمنعون كل عمل الخير، ولا يعتنون بحقوق الناس وخصوصاً المؤمنين.

روى الثعلبي(٦٣)، عن مجاهد: اطعم أبو سفيان حلفاً وترك حلف محمد ﷺ فمنعوا الناس عن دينه وعن الدخول فيه، قال عطاء: كان أبو سفيان يعطي الناقة والطعام ليصدّ الناس بذلك عن متابعة النبي ﷺ وقال ابن عباس: وذلك أن أهل الطائف أمدوهم بالأموال ليقووهم على حرب رسول الله ﷺ وعداوته.

وهناك أبعاد أخرى للخطيئة المعنوية نكتفي بذكرها فقط تمنعاً من الإطالة في البحث:

١- **الآيتان:** ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (٦٤)، المعني هنا المشركون، إلا: قرابة أو رحماً أو الحلف أو العهد(٦٥)، والآية التي تتحدث عن الإعراب المنافقين الذين يظهرون بالادعاء شيئاً ويضمرون في نفوسهم أشياء أخرى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ ، وروى الثعلبي(٦٦): أنها نزلت في مزينة وجهينة واسم وأشجع وغفار وكانت منازلهم حول المدينة. ومردوا على النفاق أي مرّنوا وتربّوا عليه.

٢- **نكث العهد، الآية:** ﴿ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (٦٧)، روى الثعلبي(٦٨)، مرفوعاً إلى ابن أبي عباس: نزلت في أبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش يومئذ الذين نقضوا العهد، وهم الذين همّوا بإخراج النبي ﷺ. وروى غيره في آخرين غيرهم.

٣- **الرياء كما جاء في الآيات:** ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (٦٩)؛

لأنهم ينافقون وفي أداء التكاليف السماوية يتخذونها مغرماً ومنعها مغنماً.

والآيـــة: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ (٧٠)، وصدق الإيمان هو أن يخلص لله تعالى ولرسوله لا ليرتجى به فضل أو نعمة إنسان مخلوق ضعيف.

٤- **وَجَلُ المنافقين والمرائين** وخوفهم الذي يجعلهم دائماً في قلق واضطراب؛ لأنهم اعلم بما في نفوسهم وأنهم أدرى بريائهم ونفاقهم فتصفهم الآية المباركة وصفاً نفسياً عميقاً: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (٧١).

روي الطبري(٧٢) مرفوعاً إلى قتادة، قال:(كانت هذه السورة تسمى ـ التوبة ـ الفاضحة فاضحة المنافقين) وقال الثعلبي عن الحسن:(كان المسلمون يسمون هذه السورة الحفّارة، حفرت ما في قلوب المنافقين فأظهرته)(٧٣)، ونقل عن ابن كيسان قوله:(أن هذه الآية نزلت في اثني عشر رجلاً من المنافقين، وقفوا لرسول الله ﷺ على العقبة لما رجع عن غزوة تبوك ليفتكوا به إذا حلأها، ومعهم رجل مسلم يخفيهم شأنه وتنكروا له في ليلة مظلمة فأخبر جبرائيل رسول الله ﷺ ما قدموا له، وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم، وعمار بن ياسر يقود برسول الله ﷺ وحذيفة يسوق به.

فقال لحذيفة: اضرب بها وجوه رواحلهم، فضربها حتى نحاهم ، فلما نزلت قال ﷺ لحذيفة: هل عرفت من القوم؟ قال: لم أعرف منهم أحداً، فقال رسول الله ﷺ: إنّهم فلان وفلان حتى عدّهم كلهم، قال حذيفة: إلا تبعث إليهم فتقتلهم، قال ﷺ:(اكره أن يقول العرب لما ظفر بأصحابه اقبل يقتلهم بل يكفيكم الله الدبيلة)(٧٤)، قيل يا رسول الله: وما الدبيلة؟ قال: (شهاب من جهنم يوضع على نياط فؤاد احدهم حتى تزهق نفسه فكان كذلك).

٣- **المعنوية المادية في ذات الحال**: حينما تحدث الذكر الحكيم في سورة التوبة عن النسيء فنقل الثعلبي(٧٥)، عن الاخفش قوله:(النسئ) هو التأخير ومنه النسيئة في البيع، ويقال: انسأ الله أجله، ونسأ من أجله أي أخره، وقال قطرب: هو من الزيادة

وكل زيادة حدثت في شيء فهو نسئ، وأكد ذلك قتادة بقوله:(عهد ناس من أهل الضلالة فزادوا (صَفراً) في الأشهر الحرم، فجاءت الآية المباركة: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ (٧٦)، قال في ذلك الطبري(٧٧):(إنما التأخير الذي يؤخره أهل الشرك بالله من شهور الحرم الأربعة وتصييرهم الحرام منهم حلالاً والحلال حراماً ،زيادة في كفرهم وحجورهم أحكام الله وآياته).

ونقل الثعلبي(٧٨)، مرفوعاً عن ابن عباس: أن أول من نسأ النسئ عمرو بن لحي بن بلتعة بن خندف، وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم: هو رجل من كنانة يقال له(القملّس) في الجاهلية، وكان اهل الجاهلية لا يغير بعضهم على بعض في الأشهر الحرم، يلقى الرجل قاتل ابيه واخيه فلا يتعرض له فيقول قائلهم: اخرجوا بنا فيقال له: هذا المحرم، فيقول القملّس. إني نسأته العام صفران، فإذا كان العام المقبل قضينا فجعلناهما محرمين. وهذا يعني أنهم لم يحلّوا شهراً من الحرم إلا حرموا مكانهم شهراً من الحلال، ولم يحرموا شهراً من الحلال إلا احلوا مكانه شهراً من الحرم لئلا تكون الحرم أكثر من أربعة أشهر مما حرم الله تعالى فيكون موافقاً للعدد، فذلك المراد. وهو ما نحياه اليوم. وتأثرت الإنسانية طيلة حياتها من أنماط هؤلاء المتلونين الذين يحرفون الكلم عن موضعه ويتلاعبون بالقيم والمثل كما يعتقدون وهم على وهم تام وخطأ جسيم.

وهم مصداق لقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ (٧٩).

وهذه الآيات المباركات تعلمنا بكل الأبعاد النفسية والتربوية والسلوكية لفئة من الناس تتجدد في كل حين ومكان وهذا ما نشهده اليوم من أدعاء أقوام بأنّهم الحقّ ونهجهم الحق والحقيقة أنهم الضُلال ونهجهم الضلال.

ومن أخطر الخطايا المعنوية المادية هي خطيئة (الفتنة) التي وصفها محكم التنزيل: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ

أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ (٨٠) وفي سورة التوبة تأكيد على هذه الخطيئة الخطيرة وهو ما ورد في الآيات المباركة: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (٨١).

قال الطبري(٨٢): أي أراد الله تعالى أيها المؤمنون لو خرج معكم المنافقون ما زادوكم إلا فساداً وضراً وشراً وغدراً ومكراً(وهي معاني الخبال) ولذلك ثبطتهم عن الخروج معكم حتى لا يدخلوكم في الفتنة فاسقطهم الله تعالى بالفتنة أن القول الحق:﴿وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾(٨٣).

٢- **الخطايا المادية**: وهي الخطايا التي تصدر بسلوك عملي فعلي والتي بنيت على أساس فكرة أو رؤيا أورد فعل لفعل وقع على الإنسان فهي عن قصد مسبق وكما يقول القانونيون عن سبق إصرار وترصد، ولا فرق بين الخطيئة العمد أو الخطأ من حيث الفعل ولكنها تختلف عنها في القصد وعدمه فتكون العقوبة الرادعة في العمد اشد منها في الخطأ ومما ذكرته سورة التوبة الكريمة من هذا النوع من الخطيئة ما كان من فعل المشركين والكفار من عدوان على الرسالة والرسول ﷺ بإخراجه من مكة المكرمة وهو نص الذكر الحكيم عليه:

أ ـــ: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (٨٤).

علق الثعلبي على هذه الآية قائلاً: (أن المشركين نقضوا عهودهم واجتهدوا باخراج محمد ﷺ من مكة ظناً منهم أنهم يتخلصون منه ويضعفونه وهم بدءوا بالقتال على رأيين: يوم بدر أو بقتال خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ).

ب ـ الخطيئة المادية الأخرى، بناء المساجد نفاقاً ومنه ما ذكرته الآية الشريفة:﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى

ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (٨٥).

روى الثعلبي(٨٦)، مرفوعاً لابن عباس قوله: لما أُسرَ أَبيّ يوم بدر أقبل عليه المسلمون يعيّروه بكفره بالله عز وجل وقطيعة الرحم وأغلظ عليٌّ له القول، فقال العباس: إنكم تذكرون مساوئنا ولا تذكرون محاسننا، قال علي (عليه السلام): ألكم محاسن؟ قال: نعم إنا لنعمر المسجد ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني، فأنزل الله تعالى رداً على العباس الآية المباركة أعلاه.

وعن الضحاك عن ابن عباس: شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم لأصنامهم وإقرارهم بأنها مخلوقة(٨٧). ومبنى هذا أن المسجد محراب المؤمن المعتقد بالله تعالى اعتقاداً جازماً، ومقتدياً برسوله الكريم والأئمة والأولياء البررة صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً، أمّا عبدة الأصنام فلا إيمان لهم فهؤلاء تحبط أعمالهم كسقوط أوراق الشجرة التي بلا جذر والبناء الذي بلا أساس.

ج ـ ومن الخطيئة المادية السلوكية هي أكل أموال الناس بالباطل واكتناز الذهب وهو ما نصت عليه الآية المباركة: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ ﴾ (٨٨). وما يحصل اليوم في المجتمع الإسلامي أن بعض(رهبان واحبار الإسلام) يعطون ويأخذون أموال المسلمين للفتوى في تكفير المسلمين ودفع الثمن لقتل المسلمين ودمار بلاد الإسلام وهؤلاء هم الأولى بخزي الدنيا وعارها وعذاب الآخرة أمر واخزى.

وهناك الآيات الكريمة الأخرى التي صرحت عن خطايا معنوية ومادية أخرى منها الخذلان والهروب من ساحات الجهاد: ﴿ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـَٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (٨٩)، ومنهم من ينال من النبي ﷺ بأنه يستأثر بالصدقات لنفسه بقوله تعالى: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (٩٠).

روى الثعلبي(٩١)، عن ابن زيد: هؤلاء المنافقون قالوا: والله لا يعطيها محمد إلا من

أحبَّ ولا يؤثر بها إلا هواه. وروى عن أبي سعيد الخدري رواية ابن ذي الخويصرة التميمي وهو حرقوص بن زهير أصل الخوارج فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: ويلك ومن يعدل أن لم اعدل وأكمل روايته وكيف أن رسول الله ﷺ اخبر عن عاقبته والخوارج وأنهم يمرقون كما يمرق السهم وأمر ﷺ بقتالهم إذا اظهروا ثلاث مرات. وهذا هو البهتان والافتراء بعينه وهو أمرٌ الخطايا.

وتحدثت السورة أيضا عن الإيذاء المادي والمعنوي بتصريح الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ (٩٢).

ثالثاً: **المعيار الجوهري**: قسمت الخطايا على أساس ماهيتها وطبيعة جوهرها فكانت:

١ـ خطايا ذاتية: أي نابعة من ذات الإنسان عن فكر ورأي سابق وثابت وعقيدة مؤمن بها وثقافة يحملها ومنها ما ذكرته الآية الكريمة: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ (٩٣). وأصحاب النفوس المريضة عاجزون بل هم فاقدو عطاء الخير وقد أيدت ذلك آية مباركة أخرى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ (٩٤). أي كما عبّر عنه المثل الإناء بالذي فيه ينضح.

والنمط الثاني: خطايا تفرض على الإنسان من الخارج دون إرادته أو اختياره، فيكره عليها كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (٩٥)، وكذلك الآية: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ (٩٦)، وورد في المحكم المبارك ما

يدل على ذلك دلالة واضحة: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (٩٧)، ومصداق من وقع عليه الإكراه ليقول كلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان هو عمار بن ياسر بعد استشهاد أبويه تحت سياط جلادي قريش المشركين.

رابعاً: المعيار البيني: تصنف الخطايا أيضاً حسب أثرها وارتباط صاحبها بقصد جريرته وخطيئته فمنها:

١ـ ما بين العبد ونفسه: أي انحصار أثر ذنب المرء الصادر عنه على نفسه دون غيره كما تؤكد الآيتان المباركتان: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ (٩٨)، وهذا تصديق لهذا الصنف من الخطايا التي تنعكس آثارها الوضعية السلبية على صاحبها فالظلم يقع أولاً على نفس الإنسان بإخراجها من فطرتها السليمة إلى الحالات الشاذة التي تؤدي بمقاماتها وتدني من قدرها. ولعل كل الخطايا وبكل أنماطها فيها نصيب من الأثر الوضعي على نفس الإنسان فالخطيئة تحدث شرحاً في شخصيته حيث تبقى آثار هذا الشرخ موجودة فيها حتى بعد التوبة والاستغفار والندم ولا يعفى أثره إلا بالعمل الصالح الذي يعوض الخلل ويصلح الفساد الذي خلفته الخطيئة.

٢ـ خطيئة بين المرء وأبناء جنسه، أي مع الناس الآخرين. وهذا النمط يخصّ كلّ الخطايا المتمثلة بالسلوك الإنساني المرتبط بالعلاقات الاجتماعية التي تقع بين الإنسان ومجتمعه بكلّ أبعاده من العائلة إلى الشارع إلى مكان العمل ومصداق هذا النمط كثير وخاصة ما يتعلق بحقوق المجتمع أفرادا وجماعات.

٣ـ خطيئة الإنسان مع الله سبحانه وتعالى وهذا الصنف من الأخطاء يشمل كل أصناف الخطايا التي مرت علينا في التصنيفات السابقة لأن الحق الإلهي متعلق بكل همزة ولمزة وسلوك أنساني مهما كان مستواه. كما حددته الآية الكريمة: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن

﴿ رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ (٩٩). التكليف الإلهي قد أدى ما عليه بمقدار مثقال الذرّة وبقي التكليف الإنساني ملزم بتطبيق كل الأحكام والحدود التي رسمتها السماء، فللمشرع السماوي حق متعلق عند الإنسان يسمى في العرف القضائي (الحق العام).

خامساً: **معيار قبول التوبة**: على هذا المعيار تصنف الخطايا على صنفين:

١ـ **خطيئة قابلة التوبة**: وهي الخطيئة المتعلقة آثارها الوضعية بالمخطئ نفسه أو بينه وبين ربه وفي هذين الحالين أجازت الرحمة الإلهية التوبة ودعت العبد إلى مراجعة النفس والندم وإعلان التوبة والتعهد بعدم العودة لمثل تلك الخطيئة وقد صرح التنزيل المبارك: ﴿ ۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ (١٠٠).

ذكر الطبري(١٠١)مرفوعاً عن عبد الله بن عمر (انه قال: لما نزلت:﴿يَاعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ....﴾، قام رجل فقال: والشرك يا نبي الله؟ فكره ذلك النبي ﷺ، فقال:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ (١٠٢).

٢ـ **الخطيئة غير قابلة التوبة**: وهي الخطيئة المتعلق فعلها بحقوق الآخرين، من جميع المخلوقات، الإنسان، الحيوان، النبات، الأرض، السماء، فلا يحصل قبول التوبة إلا بعد إبراء الذمة من تلك حقوق...وحدد الحق ذلك:﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ (١٠٣).روى الطبري(١٠٤)، مرفوعاً عن ابن عباس: (أن أتاه رجل فسأله: ما ترى في رجل قتل مؤمناً متعمداً؟ فقال: جزاؤه جهنم خالداً فيها، وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذاباً عظيماً، قال: أفرأيت إن تاب وأمن وعمل صالحاً ثم اهتدى؟ قال ابن عباس: ثكلته أمه، وأنى له التوبة والهدى، فوالذي نفسي بيده لقد سمعت نبيكم ﷺ يقول: (ثكلته أمه وأنى له بالتوبة، يجيء ـ القتيل ـ يوم القيامة معلقاً رأسه بإحدى يدي آخذاً صاحبه بيده الأخرى تشخب أوداجه حيال عرض الرحمن، يقول: يا رب سل عبدك هذا علام قتلني؟

هذه المامة سريعة وفق معرفتنا القاصرة عن أنماط الخطيئة الاجتماعية آملين أن نكون قد وفقنا لبلوغ القدر الكافي من الإحاطة بهذه القضية الإنسانية الكبرى التي تكدر صفو الوجود بمصداق قول السماء: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (١٠٥)، ولعل هذا العرض يمهد لنا تحديد العلاج الناجع الذي شخصته الإرادة الإلهية لإصلاح حال الإنسان وبالتالي نشر الصلاح والعدل في هذا الكون الفسيح.

المطلب الثالث:**المعالجات القرآنية للخطيئة الاجتماعية**:

الحقيقة الكونية التي تحكم الإنسان كأحد مخلوقات الله تعالى، فالخالق هو الأدرى والأحكم بطبيعة الإنسان وتركيبته، وما يصدر عنه من أفكار ويحمل من اعتقادات وما ينتج عنها من تصرفات وأعمال، وما دامت السماء هي الأعلم بطبيعة الخطيئة الإنسانية، فهي الاحكم في تقدير العلاج الأنجع للتعامل مع الخطيئة تحصيناً ووقاية واستشفاءً، ومن قراءتنا لما وضعته السماء من معالجات لهذه الخطايا نستطيع أن نصنفها، وفق معرفتنا المحدودة، على النحو الآتي:

أولاً: **معالجات تشريعة تقنينية متقدمة**.

ثانياً: **معالجات اجرائية رادعة**.

كلاهما تصنفان إلى:

أ- وقائية: معنوية ومادية.

ب - استشفائية علاجية: تصنف إلى:

١- نفسية: ربانية روحانية.

٢- تربوية إنسانية.

٣- إجرائية سلوكية.

أولاً: **المعالجات التشريعية التقنينية المتقدمة**: وضعت السماء القانون الإلهي الذي ينظم حياة الإنسان والمجتمع ويحدد أحكامه ومسالكه قبل أن يخلق الإنسان بمصداق الآيات المباركات:﴿الرحمن❖عَلَّمَ الْقُرآنَ❖خَلَقَ الإِنسَانَ❖عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾(١٠٦)، فمقتضى الرحمة والحكمة الإلهية التي تحقق العدالة السماوية هي أن بدأت

التشريع بلفظ :"علم القرآن" أي وضع علاماته وحدوده وأحكامه ثم خلق الإنسان حتى يبعد خلقه عن العبثية ولا يدعه في ضلالة وشتات ثم أكمل رحمته فعلم الإنسان البيان بإرساله الرسل والنبيين وإنزاله الصحف والكتب وختامها الفرقان ينير الدرب للإنسان ويضعه على طريق الهداية.

وحددت السماء مسؤولياتها وموقفها من خطيئة الإنسان: ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ ﴾ (١٠٧)، فهي لا تحاسب قبل أن تضع الإنسان على بينة وتحدد تكليفه ومسؤولياته وهذا هو العدل المحض.

وأكد الشارع المقدس: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ (١٠٨)، وعليه فان المؤمن ملزم بإدراك هذه التشريعات والإقامة عليها ليدرك السعادة والخير المنشودين.

وألزم أصحاب الرسالة بان يمتثلوا أمر السماء ويطبقوا أحكامها وتشريعاتها وبعدالة تامة بقوله تعالى: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ (١٠٩)، روى الطبري(١١٠)، عن السري في قوله:(شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً....) قال: هو الدين كله. وتابع الطبري قوله: والعدل ميزان الله في الأرض، به يأخذ للمظلوم من الظالم، وبالعدل يصدق الله الصادق، ونقل قول ابن زيد في قوله تعالى:﴿لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ لا خصومة بيننا(١١١).

وتشريعات السماء كانت دقيقة وواضحة لم تغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أثبتتها في الكتاب الكريم أو في السنة الشريفة فأكد ذلك الذكر الحكيم بقوله: ﴿ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ (١١٢)، وفي مقام ثانٍ : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ (١١٣)، وليجعل المشرع العبد على بينة من أمره خاطبه بخطاب

واضح لا لبس فيه: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (١١٤).

هذه المسؤولية التشريعية قد أكملتها السماء لتجعل الإنسان على بينة من أمره ثم حملته مسؤولية التكليف والنهوض بهذه المسؤولية واصدق توصيف لها الآية المباركة: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ (١١٥). وبعد أن أحكمت السماء تشريعاتها أخذت العهد والميثاق من بني آدم وهم في عالم الذر: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ (١١٦).

ثانياً: معالجات إجرائية رادعة:

وأكمل الحق تشريعاته بان وضع إجراءات رادعة تحذر الإنسان من عاقبة مخالفة الشريعة نوجز منها:

١- حذرت السماء بني آدم بأنها جعلت عليه رقابة صارمة تلحظ سلوكه إلى حدّ مثقال ذرة: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (١١٧). فحين يتقّين الإنسان أن الرقابة محكمة عليه لهذه الدقة فانه سيرقب نفسه ويحاول السيطرة على نوازعها ويهذب سلوكه على أساس ذلك.

٢- إنّ إرادة السماء هي خلق الشخصية الإنسانية المثلى، فالإنسان هو غاية الله تعالى في الكون: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ (١١٨). وان هذا التسخير المطلق يدل دلالة واضحة على مقام الإنسان عند الله تعالى وانه غايته في هذا الخلق العظيم.

وجاء التأكيد الأعظم هو الآية المباركة تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (١١٩). وهذا الجعل تشريعي وتكويني تكاملي

لخلق الإنسان النموذجي الذي يتسامى إلى المقام الأعلى وهو أن يكون خليفة الله عز وجل في الأرض، ولكي تكمل السماء مشروعها المقدس في الإنسان، صدر الأمر المولـــــــــوي: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (١٢٠).

٣ـ ومن المعالجات الإجرائية الرادعة نشر الوعي عند الإنسان وخلق ثقافة الايمان بقدره المقدور انه ملازم له من مخلوق مقدس يحصّنه من الزلل ويذكره دوماً بالصراط الاقوم بقوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ (١٢١)، ودققت السماء على تقويم شخصية الإنسان بأسمى مقام: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾ (١٢٢)، وحذّره المولى تحذيراً صارماً بتأكيده على حقيقة ناصعة علمية جلية وهي: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١٢٣)، فإذا كانت أدوات الإنسان التنفيذية على كل فعل وسلوك يصدر عنه هي الشاهد فلا بد له من أن يستقيم ويربأ بنفسه عن كل خطيئة واثم.

٤ـ ومن الأساليب التقويمية التي اعتمدها الشارع المقدس الدعوة للاتعاظ بقصص وأحوال الأولين بقوله الحق: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (١٢٤)، تدعو السماء عباد الله أن يحكموا عقولهم فهي الهبة السماوية الكبرى ليتنكبوا طرق السوء ويركبوا جادة الصواب، فحذرتهم بعدم الانسياق وراء النفس الآمرة بالسوء بل لابد من الحلم والورع وقراءة سنن الله تعالى في خلقه الأولين لأخذ عبرة منهم: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (١٢٥).

٥ـ الإجراء التقويمي البنّاء هو الاستعاذة بالله تعالى والاستعانة به: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ

ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (١٢٦).

ولابد أن نقف متأملين الإعجاز القرآني في الاستجابة الروحية لحاجات النفس الإنسانية ومنحها الطاقة الكافية والثقة الرصينة التي تحصّنها من كلّ شرّ في أدقّ أحواله وأبعد صوره حتى ولو على مستوى الوسواس الخناس، وذلك كما لقّنت السماء الإنسان أن يعظّم بكلّ القوى متتابعة: بربّ الناس، بملك الناسِ، وأتمّها(بإله الناس).

٦ـ ومن الأساليب التي وضحتها السماء للإنسان لتحصنه بها من الخطيئة هو توجيهه لاعتماد الدعاء والإنابة إلى الله عز وجل للوقاية من الوقوع في الخطيئة، فصاغت له الدعاء على لسان الوحي: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ (١٢٧)، وكذلك فلسفة السماء للإنسان كيف أن التدبير السيئ الذي يخالف سنن الخلق القويم والفطرة النقية التي جُبِلَ عليها الإنسانُ، ينقلب على ذات الإنسان، لأن الخطط الفاسدة سوف تكون لها انعكاسات على الواقع الملاصق للإنسان الماكر فيبدأ هذا المكر بأثره السيئ على اقرب نقطة له وهو صاحب المكر فيصيبه، ويعلق السيد المدرسي(١٢٨)، على الآية الشريفة: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (١٢٩)، بقوله:(والكلمة هذه ذروة ما نفهمه من البلاغة، إذ ذكرنا الرب بان المكر السيئ(يحيط) بصاحبه من جميع جوانبه، وهذا أبلغ من القول انه يلحق به أو يصيب، لأن صاحب المكر يزعم انه قادر على الفرار من عاقبة عمله، ولكنه يحيق به فلا يقدر هروباً)، وأكد دليل عملي هو الرجوع إلى سنّة الأولين فسيكتشف الإنسان حقيقة ذلك بتجارب الأقوام السالفة وما حصل لها من مكرها، وأكد ذلك البارئ عز وجل:﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ (١٣٠).

٧ـ من المناهج الإجرائية التي تضمن العصمة للإنسان من الوقوع بالخطيئة هو الاعتقاد الجازم بالولاية للنبي ﷺ وأهل بيته الأطهار، لان هذه الولاية تعني التمسك الصارم بالقيم والمبادئ السامية التي تزكي وتخلص الإنسان من كل فكر وسلوك، وتحدد ذلك الآية الشريفة:﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ

رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ (١٣١)، فالحب مقيد بالإتباع التام المطلق ويعني التقيد التام بمنهجية النبي ﷺ فهو الأسوة الحسنة للإنسانية، وأكد ذلك القول الحق:﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (١٣٢).

٨- ومن المعالجات الإيجابية الوعد الحق بالجزاء الأوفى للمتقين بقوله تعالى:﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (١٣٣)، روى الطبري(١٣٤)، عن مجاهد قوله:(ولمن خاف مقام ربه جنتان قال: الرجل يهم بالذنب فيذكر مقامه بين يدي الله فيتركه، فله جنتان. وعن مجاهد: الرجل يهم بالمعصية، فيذكر الله عز وجل فيدعها).

والتصنيف الأدق لكلا المنهجين في المعالجات يتضمن:

أ- معالجات وقائية:

معنوية نفسية: قوله تعالى:﴿ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾ (١٣٥)، وقوله عز وجل: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (١٣٦)، وكذلك القول الحق:﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (١٣٧). والتحصين الذي إرادته السماء لخلقها الصالحين:﴿لَقَدْ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾(١٣٨). والتحذير المعنوي للمؤمنين لوقايتهم من الزلل:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾(١٣٩)، الالتزام بالوفاء بالعهد ولا فالوقوع في منزلق النفاق:﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (١٤٠)، وحذر الباري جل

وعلا عن اللمز والسخرية من المؤمنين: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (١٤١).

ومن الإجراءات الوقائية النفسية هي حرمان المخطئ من الرحمة الإلهية بأن يغلق عليهم الفهم والاستيعاب بقوله تعالى: ﴿ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (١٤٢)، حرمان المخطئين من الرضا الإلهي والرضا الإنساني: ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (١٤٣)، وللوقاية المعنوية الفكرية والعلمية قول الله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (١٤٤)، ومن أقوم المعالجات المعنوية النفسية هو حياء الانسان المخطئ من نفسه ووجوب صدقه معها ومواجهة حقيقة الانحراف والتحصن من الوقوع فيه، قول الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (١٤٥).

ب- وقائية مادية:

إنّ أول ما تفتتح به سورة التوبة المباركة المعالجة المادية للخطيئة هو إظهار عظمة الإسلام وتشريعاته الناجعة المادية للخطيئة بقبوله إجارة حتى المشرك المخطئ بالآية المباركة: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (١٤٦)، والإعلان بقبوله التوبة المشروطة بقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (١٤٧).

ومن المعالجات الوقائية المادية الآيات المباركة الآتية: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (١٤٨)، روى الثعلبي(١٤٩): عن ابن زيد، أن عذابهم بالمصائب فيها، وقيل التعب في جمعه، والوجل في حفظه وحبه، وان تحريم الصلاة على جثامين المخطئين بعد موتهم وعدم الإقامة في قبورهم عقوبة لهم: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (١٥٠)، ونموذج آخر: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (١٥١).

ومن المعالجات المادية: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (١٥٢)، أي كل باغ ومخطئ ومخالف أحكام السماء فلتزكيته وتطهيره بأخذ صدقة محددة وبعدها الصلاة أي الدعاء بالمغفرة.

الإجراء السماوي يعالج كل الجوانب دون تمييز ودون تغافل عن أية مفردة من مفردات الشخصية المريضة، فهنا معالجة بالدعوة للعمل الصالح لتجاوز الأعمال الخاطئة وان هذا العمل في عين التقدير والرضا من الله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنين، بقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (١٥٣).

ومن أرقى هذه المعالجات المادية هي مقايضة السماء للمجاهد بالجنة عن نفسه التي هي بالأصل ملكاً حقيقياً للخالق تعالى واعتبارياً للإنسان. وتقديم البشرى للمتبايع بهذه المنهجية في التعامل: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ (١٥٤). نقل الجصاص(١٥٥) مرفوعاً لابن عباس عن النبي ﷺ انه قال: (أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل تكلم بكلمة حق عند سلطان جائر).

ومن أشد المعالجات المادية التي حددها الخالق سبحانه وتعالى وهو الإجراء الصارم بمقاتلة من يظل سادراً بغيّه فكما يقال:(آخر الدواء الكي) أن أمرت السماء بمقاتلة

هؤلاء إصلاحا لحالهم وضمان عدم عودتهم لخطئهم وليتعظ بهم غيرهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣﴾ (١٥٦) وشددت آية سابقة على هذا النمط من الناس الذين اشربوا الفتنة والضلالة: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤﴾ (١٥٧)، نقل النحاس(١٥٨) عن المجاهد قوله: أن المقاتلة والتعذيب ثم النصر من الله تعالى فيشفي بذلك صدور المؤمنين فدلً بهذا على أن غيظهم كان قد اشتد، فقال: يعني خزاعة حلفاء الرسول ﷺ.

٢ـ معالجات استشفائية علاجية:

أ ـ نفسية ـ ربانية ـ روحانية:

هناك خطايا سلوكية ومعنوية تصدر عن الإنسان وبعضها سقوط الإنسان في فتنة الغرور وانفصام النفس عن واقعتها والتعلق بالعجب الوهمي الواهن كما تتحدث عنه الآية المباركة:﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦﴾ (١٥٩).

ومن المعالجات الربانية الروحانية ما حملته الآية الكريمة : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢﴾ (١٦٠)، وهذا المدد الإلهي جاء لدرءِ الخطر عن الرسالة المقدسة التي تمثل الإرادة السماوية لتحقيق الرحمة والسعادة للبشرية وذلك بإبطال دين الله بألسنتهم بتكذيبهم إياه وإعراضهم عنه.

ونقل الثعلبي(١٦١)، عن الضحاك قوله: يريدون أن يهلك محمد وأصحابه ولا يعبد الله بالإسلام، وعن الكلبي قوله: يعني يردون القرآن بألسنتهم تكذيبا له.

ب ـ المعالجات التربوية والإنسانية:

وهذا نمط من المعالجة التربوية الدقيقة، التي تعتمد منهج المقارنة بين آثار السلوك

الإنساني التي تتفاوت بين السلب والإيجاب والصلاح والفساد ما نصت عليه الآيتان المباركتان: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ ﴾ (١٦٢).

ومن المناهج التربوية في المعالجة هو اعتماد نموذج من المخالفين الخاطئين وعقابهم التربوي النفسي بقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ (١٦٣)، توصيف تربوي دقيق للنفس الإنسانية إذا وقعت في حبائل الخطيئة، وفقدت حيويتها وصوابها وتهاوت تحت مطارق الإحساس بالذنب وللرجوع للصواب وأن يركن الإنسان إلى الركن الركين وهم صفوة الصفوة الصادقون. وروى لنا الثعلبي مرفوعاً إلى أبي جعفر في قوله تعالى:﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، قال:مع آل محمد ﷺ، ومعنى هذا أن الكذب لا يصح ولا يصلح حال لا في جد ولا هزل ولا نجاة إلا في الصدق ولا حل إلا أن يعيش الإنسان في بيئة نقية خالصة في الصدق.

ويعرض لنا الحق خطيئة خطيرة لابد أن يتصدى لها ويوجد علاجاً لها وهي:﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (١٦٤)، ويستحثهم النداء الإلهي ليحرك مكان الخير وقوة الإرادة الصالحة بقوله تعالى:﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ (١٦٥)، ويدعوهم إلى العلاج الأنجع وهو الإيمان بالنبي ﷺ الرءوف الرحيم بهم بقوله عز وجل:﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (١٦٦).

روى الثعلبي(١٦٧)، عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) قوله:(أن الإيمان يبدو

لمظة بيضاء في القلب كلما ازداد الإيمان عظماً ازداد ملك الناس حتى يبيض القلب كله، وان النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فسيود القلب كله، فايم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه ابيض، ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود)(١٦٨).

ومما حدد القرآن المجيد من معالجة نفسية تربوية لمن ظل على ضلالته ويتباهى بها لان بعض آثارها الوضعية وخاصة الكسب غير المشروع له ظهور نسبي محدد، يحقق له قدرة شرائية يتلذذ بها فيوحى له هذا الحال بأنه على صواب فيحذره الله جل وعلا:﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ آل (١٦٩)، ويؤكد هذا التحذير ومن زاوية نفسية أخرى:﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾ (١٧٠)، ويقارن هذا الحال بحال آخر من أحوال بني البشر:﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾ (١٧١)، فهذا استخلاص للحقائق من خلال عرض النقيضين ليدرك أولي الألباب الأفضل بعد مقارنة علمية دقيقة.

ويعالج المشرع الكريم حالة خاطئة عند البعض ممن يأتي الفاحشة بعقوبة مشروطة بالتوبة، فالعقوبة التربوية التي حددت لا فحش فيها بل تخللها الرحمة بإعطاء المخطئ فرصة للعودة إلى جادة الصواب أي يترك له خط رجعة بقوله تعالى:﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ (١٧٢)، دعوة رحيمة من لدن رحمة رحيم لعباده للعودة له ونكران الخطأ واعتماد نهج الحق والصلاح.

جـ المعالجات الإجرائية السلوكية:

١ـ ما نصت عليه الآيات الكريمة الآتية هو عرض للصراع النفسي الذي يعانيه من يسقط في الفتنة، فيظهره الله إشعارا له ولغيره إلا تخفى على الله تعالى خافية يعلم ما

توسوس به نفس الإنسان، وفي هذا الإظهار وسيلة من وسائل العلاج الإجرائي السلوكي الذي يهدف لإصلاح الإنسان: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (١٧٣).

٢- وتشتد المعالجة الإجرائية باشتداد الفاحشة من الإنسان وتحدد الحكم بالآية المباركة تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (١٧٤)، ويطلعهم عالم الغيب على مستقبل حالهم بقوله: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (١٧٥)، يروي الثعلبي(١٧٦)، عن انس قوله:(لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلاً وبكيتم كثيراً).

٣- وتعالج السماء حالات المقصرين المعذورين بالتخفيف عنهم فما كلف الله نفساً إلا وسعها فيقول الحق تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾ (١٧٧).

٤- ويحدد المشرع هنا كما أسلفنا الحكم الأقسى على الذين لم يعقد الأمل على عودتهم إلى جادة الصواب بحكمة تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (١٧٨).

نقل ابن الجوزي(١٧٩) عن الزجاج قوله: لا يؤمنون بالله إيمان الموحدين لأنهم أقرّوا بأنه خالفهم وانه له ولد وكذلك إيمانهم بالبعث؛ لأنهم لا يقرون بان أهل الجنة يأكلون ويشربون، وقال الماوردي: إقرارهم باليوم الآخر يوجب الإقرار بحقوقه وهم لا يقرون بها فكانوا كمن لا يقر به، ونقل عن سعيد بن جبير في قوله:﴿لاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ :يعني الخمر والخنزير.

وبعد هذه الإلمامة القاصرة نكون قد عرضنا بضاعتنا آملين من المولى عز وجل القبول والغفران أن كنا نسينا أو أخطأنا، ومن الباحثين الإعراض عن فضاضتنا وقصورنا والعذر عند الكرام مقبول، وما هي إلا دعوة لأُولِي العلم أن يولوا هذه الظاهرة الخطيرة (الخطيئة الاجتماعية) غاية الاهتمام؛ لأنها مصدر إرهاق الإنسانية وقلق لأهل الدين والتربويين ودعاة الرشاد والصلاح، وثقتنا مطلقة بمن قصدنا بدعوتنا أن يتصدوا بالعلم والفكر والعمل الجاد وعلى كل صعيد ومستوى في البيت والمدرسة والشارع والمؤسسات الثقافية والفكرية ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة فلعل الله تعالى يصلح ما أفسدته عاديات الحياة، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله سبحانه رب العزة عما يصفون والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف ألأنبياء والمرسلين المصلح الصادق الأمين وعلى أهل بيته الميامين وخليفتهم المهدي المنتظر الأمين، وصحبه المنتجبين ورحمة الله وبركاته.

ملخص البحث

خلص البحث إلى تعريف شاف وكافٍ للخطيئة لغة واصطلاحاً وتطبيقاً للفروق اللغوية والمصطلحية لهذا المفهوم، واستقصى هذا المفهوم عند علماء الدين والمربين والفلاسفة والنفسانيين، وقف على رؤاهم في المعالجات التي رأوها للخطيئة حسب اختصاصاتهم. ثم عرج البحث على القرآن المجيد ليقف على مصاديق مفهوم الخطيئة فيه، وتصدى لدراسة موضوعة البحث المحددة وهي سورة التوبة(البراءة) فعرض لأسمائها وأسباب نزولها وطبيعتها التربوية العلاجية للأمراض الاجتماعية التي تنخر جسد المجتمعات الإنسانية وتكاد تؤدي بها. فدقق البحث في تفاصيل أنماط الخطيئة كما وردت في الذكر الحكيم وبالذات في هذه السورة المباركة والتي قسمت وفق معايير خمسة: الكمي، النوعي، الجوهري، البيني، التوبة.

وتصنيفاتها التي بلغت احد عشر معياراً، فعرض لها البحث مستشهداً بمصاديق لها في الذكر الحكيم وخاصة في سورة التوبة. وبعدها شخص البحث المعالجات التي حددتها السماء لتخليص الإنسانية من هذا الداء الوبيل فحددتها بصنفين: المعالجات التشريعية تقنينية متقدمة ومعالجات إجرائية رادعة وكلا الصنفين توزعت على محورين: وقائية معنوية أو مادية واستشفائية علاجية وهذا الصنف تنوع على النحو الآتي:

معالجات معنوية ـ ربانية ـ روحانية ـ ومعالجات تربوية إنسانية وثالثة: إجرائية سلوكية وكانت استشهادات قرآنية عامة وهي الأقل وخاصة من سورة التوبة المباركة وهي الأكثر والأدق، آملين أن نكون قد وفقنا إلى وضع الأمور في نصابها العلمي الدقيق، وإذا أخطأنا فكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، فعذراً وألف العذر إلى الله سبحانه وتعالى ونبيه الكريم وأهل بيته الميامين صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

التوصيات:

١، إنّ يقرأ المربون والقائمون على المؤسسات التعليمية والتربوية قراءة فاحصة دقيقة كتاب الله العظيم وخاصة ما يتعلق بهذه الظاهرة الخطيرة واليقين التام بان كتاب الله تعالى انزله لإصلاح الإنسانية.

٢ـ تكلف لجان تربوية مسؤولة ورسالية مستعينة بأهل التفسير والعلم لاستقصاء الموارد العلمية والتشريعية التي اختصت بظاهرة(الخطيئة الاجتماعية).

٣ـ اعتماد عينات من أفراد المجتمع ممن ابتلوا بأي نمط من أنماط الخطيئة وإجراء التطبيقات المبدئية والتقويمية التي حددها الدين الحنيف.

٤ـ إجراء دراسات تطبيقية إجرائية على تلك العينات أو غيرها لاستخلاص نتائج تعتمد كقاعدة بيانات لتلك الأنماط والشرائح المجتمعية المبتلات بها ومتابعة طرائق الإصلاح التي يجب أن تشخص لها تناسباً نوعياً ونفسياً وموضوعياً.

٥ـ إعداد المصلحين المتخصصين الرساليين وليس المحترفين ليأخذوا على عاتقهم تطبيق هذه البرامج الإصلاحية بدقة وعلمية.

٦ـ تشريع نظام يسمح لهذه المؤسسات الإصلاحية التعاون مع وزارة العدل في الدخول إلى المدارس الإصلاحية التابعة لها لاعتماد مشاريع إصلاحية متخصصة ومتابعة النتائج المتحققة من ذلك.

٧ـ واهم التوصيات هو الاهتمام بالمؤسسات التربوية المدارس: من الأطفال وحتى الجامعة اهتماماً كبير أسوة بالدول المتحضرة باعتماد نهضة بل ثورة تربوي بتخصيص لموازنات المالية الكافية لبناء المدارس وتحقيق النموذج المدرسي الأمثل الذي حددته الأنظمة التربوية في العالم وعندنا لا على مبدأ إسقاط الفرض وتطوير

الملاكات التربوية والتعليمية. وإصلاح المناهج والهدف الأعلى هو التخلص من الجهل والأمية إلا بجدية والحضارية؛ لأنهما المرتع الخصب للخطيئة.

٨- تبني مشروعاً اصلاحياً استراتيجياً ضخماً للفضائيات ووسائل الاتصال والإعلام يتناسب هذا المشروع مع ضخامة الهجرة الشرسة من مؤسسات الضلال والتدمير الأخلاقي والإنساني، ومحاربة التطرف الديني الذي لا يمت إلى السماء بأي وجه من الوجوه لتجفيف منابع الخطيئة وتحصين الفرد والأمة منها: نزوعاً لبلوغ المجتمع الأصلح.

هوامش البحث

(١) سورة آل عمران:١٣٥-١٣٦.

(٢) سورة الحجر:٢٩.

(٣) سورة الرحمن:١-٤.

(٤) الخليل الفراهيدي(ت١٧٥هـ)، كتاب العين:٢٩٢/٤.

(٥) الحربي إبراهيم بن اسحاق(ت٢٨٥هـ)، غريب الحديث:٧٢١/٢.

(٦) الجوهري اسماعيل بن حماد(ت٣٩٣هـ)، الصحاح:٤٧/١.

(٧) الفيروزآبادي(ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط:١٧/١.

(٨) أبو هلال العسكري، الفروق الفردية:٢٢٠-٢٢٢.

(٩) الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام): الصحيفة السجادية الكاملة: ١٩٤.

(١٠) م.ن.

(١١) آل عمران:١٤٧.

(١٢) البقرة:٢٨٦.

(١٣) ابن منظور(ت٧١١هـ)، لسان العرب:٦٨/١.

(١٤) سورة الإسراء:٣١.

(١٥) سورة يوسف:٩٧، وكذلك الآية((٨ من سورة القصص):(فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ).

(١٦) سورة الروم:٤١.

(١٧) محمد عبده، خطب الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة:٤٧/١.

(١٨) سورة النساء:١١٢.

(١٩) النووي، شرح مسلم:١٩٣/٤.
(٢٠) عبد القادر عوده، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، بيروت ـ دار الكاتب العربي، ص٤٠٣.
(٢١) الشيخ الطريحي، مجمع البحرين:١٢٢/١الزبيدي: تاج العروس:٤٠٧/٨.
(٢٢) سورة الأسراء:٧٠.
(٢٣) الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص٣٠٤.
(٢٤) غرر الحكم(٧٥٣٠)، نهج البلاغة.
(٢٥) م.ن: الحكمة(٧٣).
(٢٦) م.ن: ٥٥٨٩.
(٢٧) الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين (عليه السلام) ـ ابطحي ـ (ص٤٠٣).
(٢٨) الكليني، الكافي(١٠٠/٢).
(٢٩) م.ن: ٤٩٨/٢.
(٣٠) م.ن:١٠٠/٢.
(٣١) م.ن:١٢٦/٥.
٣٢ د. البستاني محمود، دراسات في علم النفس الإنساني، (النجف الأشرف، دار الباقر، ط٤، سنة٢٠٠٨)، ص٧.
٣٣ الشيخ الصدوق(ت٣٨١هـ)، علل الشرائع(النجف الأشرف ـ المطبعة الحيدرية١٩٦٦م)، ٤/١.
٣٤ محمد عبده: شرح نهج البلاغة، بيروت ، دار المعرفة:٤٨/١.
٣٥ محمد عبده:م.ن.
(٣٦) محمد أبو زهرة، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، دار الفكر العربي، سنة طبع بلا، ص١٣٤-١٣٦، بتصرف.
(٣٧) أبو زهرة، المصدر نفسه ، ص١٣٨.
(٣٨) م.ن:ص٤٤٤، وبعدها.
(٣٩) عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي: ٤٠٢/١، وبعدها.
(٤٠) القللي محمد مصطفى، في المسؤولية الجنائية، مصر، مكتبة عبد الله وهبة، ١٩٤٤-١٩٤٥، في اوليات المباحث اعلاه بتصرف.
(٤١) سورة الشمس:٧-١٠.
(٤٢) سورة هود:٦١.

(٤٣) التهذيب ، حقل الانفال:١٤٦/٤، والكوكي: الخراجيات:٥١.، الكركي(ت٩٤٠هـ)، الخراجيات ، إيران ، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، سنة ١٤١٣هـ.

(٤٤) الثعلبي، أبو إسحاق احمد بن محمد(ت٤٢٧هـ)، الكشف والبيان في تفسير القرآن(بيروت ، دار الكتب العلمية):١٦١/٣ وما بعدها.

(٤٥) الطبرسي، مجمع البيان: ٥/٢-٦، وشبر عبد الله: الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين، الكويت ـ مكتبة الألفين، ط١، سنة ١٤٠٧هـ ـ١٩٨٦م، :٤٩/٣.

(٤٦) الطباطبائي محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، لبنان، بيروت، دار الأضواء، ط١ سنة(١٤٣١هـ٢٠١٢م): ١٠٧/٩.

(٤٧) م.ن:١١٩/٩.

(٤٨) السيد قطب: في ظلال القرآن(دار الشروق، ط٣٤، سنة(١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م):١٥٦٤/٣، وما بعدها.

(٤٩) الثعلبي، الكشف والبيان: ١٧٧/٣.

(٥٠) م.ن.

(٥١) سورة التوبة:١٠٢.

(٥٢) الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان: ٢٧٨/٩.

(٥٣) سورة التوبة: ١و٣.

(٥٤) شبر عبد الله: ٤٩/١٠-٥٠، بتصرف.

(٥٥) السيد قطب، في ظلال القرآن، ص١٥٦٥.

(٥٦) سورة التوبة:٣٨-٣٩.

(٥٧) الثعلبي: تفسيره:٢٠١/٣-٢٠٢.

(٥٨) المدرسي محمد تقي: من هدى القرآن(الناشر مكتب السيد المدرسي، ط١، سنة ١٤٠٦هـ):١٧٤/٤.

(٥٩) السيد قطب، في ظلال القرآن:١٦٥٥/٣.

(٦٠) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان، ٢٠٥/٩.

(٦١) سورة لقمان:١٣.

(٦٢) سورة التوبة:٩.

(٦٣) الثعلبي، تفسيره: ١٧١/٣.

(٦٤) سورة التوبة:٨.

(٦٥) الثعلبي، تفسيره:١٧٠/٣.

(٦٦) المصدر السابق :٢٤١/٣.
(٦٧) سورة التوبة:١٢.
(٦٨) م.س: ١٧٣/٣.
(٦٩) سورة التوبة:٥٤.
(٧٠) سورة التوبة:٦٢.
(٧١) سورة التوبة:٦٤.
(٧٢) الطبري أبو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)/ جامع البيان عن تأويل القرآن، تخريج صدقي جميل العطار(بيروشر دار الفكر، ط سنة١٤١٥هـ): ٢١٩/١٠.
(٧٣) الثعلبي، تفسيره:٢١٩/٣.
(٧٤) الإمام أحمد، مسنده:٣٢٠/٤، مسلم، صحيحه:١٢٣/٨، الهيثمي، مجمع الزوائد:١٠٩/١.
(٧٥) الثعلبي، تفسيره:١٩٩/٣.
(٧٦) سورة التوبة:٣٧.
(٧٧) الطبري، تفسيره:١٦٧/١٠.
(٧٨) الثعلبي، تفسيره:٢٠٠/٣.
(٧٩) سورة الكهف: ١٠٣-١٠٥.
(٨٠) سورة البقرة:١٩١.
(٨١) سورة التوبة: ٤٧-٤٩.
(٨٢) الطبري، تفسيره:١٧٠/١٠.
(٨٣) سورة فاطر:٤٣.
(٨٤) سورة التوبة:١٣.
(٨٥) سورة التوبة:١٧.
(٨٦) م.س: ١٧٤/٣.
(٨٧) الثعلبي: م.ن:١٧٤/٣.
(٨٨) سورة التوبة:٣٤.
(٨٩) سورة التوبة:٥٧.
(٩٠) سورة هود:٥٨.
(٩١) الثعلبي، تفسيره:٢١٠/٣-٢١١، بتصرف.
(٩٢) سورة التوبة: ١٠٧-١٠٩.
(٩٣) سورة التوبة:١٢٥.

(٩٤) سورة الأعراف:٥٨.
(٩٥) سورة التوبة:٣٢.
(٩٦) سورة التوبة:١٢٦.
(٩٧) سورة النحل:١٠٦.
(٩٨) سورة آل عمران:١٣٥-١٣٦.
(٩٩) سورة يونس:٦١.
(١٠٠) سورة الزمر:٥٣.
(١٠١) الطبري، جامع البيان:١٧٥/٥.
(١٠٢) سورة النساء:٤٨.
(١٠٣) سورة طه:٨٢.
(١٠٤) الطبري: المصدر السابق:٢٩٥/٥.
(١٠٥) سورة الروم:٤١.
(١٠٦) سورة الرحمن:١-٤.
(١٠٧) سورة الإسراء:١٥.
(١٠٨) سورة الشورى:١٣.
(١٠٩) سورة الشورى:١٥.
(١١٠) الطبري، جامع البيان:٢١/٢٥-٢٥.
(١١١) م.ن: ٥/٢٥.
(١١٢) سورة آل عمران:١٣٨.
(١١٣) سورة هود:١.
(١١٤) سورة النحل:٨٩.
(١١٥) سورة الأحزاب:٧٢.
(١١٦) سورة الأعراف:١٧٢.
(١١٧) سورة ق:١٧-١٨.
(١١٨) سورة لقمان:٢٠.
(١١٩) سورة البقرة:٣٠.
(١٢٠) سورة القرة:٣٤.
(١٢١) سورة الاسراء:١٣-١٤.
(١٢٢) سورة القيامة:١٤-١٥.

(١٢٣) سورة النور:٢٤.
(١٢٤) سورة ق:٣٦-٣٧.
(١٢٥) سورة فاطر:٤٤.
(١٢٦) سورة الأعراف:٢٠٠-٢٠١.
(١٢٧) سورة آل عمران:٨.
(١٢٨) المدرسي محمد تقي، تفسيره:٧٤/١١.
(١٢٩) سورة فاطر:٤٣.
(١٣٠) سورة الشورى:٣٠.
(١٣١) سورة آل عمران:٣١.
(١٣٢) سورة المائدة:٥٦.
(١٣٣) سورة الرحمن:٤٦.
(١٣٤) الطبري: جامع البيان: ١٨٩/٢٧.
(١٣٥) سورة التوبة:٣.
(١٣٦) سورة التوبة:٣٢.
(١٣٧) سورة التوبة:٤٠.
(١٣٨) سورة التوبة:٤٨.
(١٣٩) سورة التوبة: ٦٥.
(١٤٠) سورة التوبة:٧٧.
(١٤١) سورة التوبة:٧٩-٨٠.
(١٤٢) سورة التوبة:٨٧.
(١٤٣) سورة التوبة:٩٦.
(١٤٤) سورة التوبة: ١٢٢.
(١٤٥) سورة التوبة:١٢٧.
(١٤٦) سورة التوبة:٦.
(١٤٧) سورة التوبة:١١.
(١٤٨) سورة التوبة:٥٥.
(١٤٩) الثعلبي: تفسيره: ٢٠٩/٣.
(١٥٠) سورة التوبة:٨٤.
(١٥١) سورة التوبة:١٠٢.

(١٥٢) سورة التوبة:١٠٣.
(١٥٣) سورة التوبة:١٠٥.
(١٥٤) سورة التوبة:١١١.
(١٥٥) الجصاص الرازي أبو بكر احد بن علي(ت٣٧٠هـ)، أحكام القرآن، بيروت ـ دار الكتب العلمية، ط١، سنة ١٤١٥هـ: ٣١٩/١.
(١٥٦) سورة التوبة:١٢٣.
(١٥٧) سورة التوبة:١٤.
(١٥٨) النحاس أبو جعفر(ت٣٣٨هـ)، معاني القرآن، تحقيق:محمد علي الصابوني، السعودية ـ جامعة أم القرى، ط١، سنة ١٤٠٩، ١٨٩/٣.
(١٥٩) سورة التوبة:٢٥-٢٦.
(١٦٠) سورة التوبة:٣٢.
(١٦١) الثعلبي، تفسيره:١٩١/٣.
(١٦٢) سورة التوبة:٩٨-٩٩.
(١٦٣) سورة التوبة:١١٨-١١٩.
(١٦٤) سورة التوبة:١٢٥.
(١٦٥) سورة التوبة:١٢٦.
(١٦٦) سورة التوبة:١٢٨.
(١٦٧) الثعلبي، تفسيره:٢٦٦/٣.
(١٦٨) نهج البلاغة خطب الإمام علي (عليه السلام) تحقيق وشرح محمد عبده(بيروت ،دار المعرفة سنة بلا): ٥٩/٤.
(١٦٩) سورة آل عمران:١٧٨.
(١٧٠) سورة آل عمران:١٩٦-١٩٧.
(١٧١) سورة آل عمران: ١٩٨.
(١٧٢) سورة النساء:١٦-١٧.
(١٧٣) سورة التوبة:٦٤-٦٥.
(١٧٤) سورة التوبة:٨٠.
(١٧٥) سورة التوبة:٨٢.
(١٧٦) الثعلبي، تفسيره:٢٣٣/٣.
(١٧٧) سورة التوبة:٩١.

(١٧٨) سورة التوبة:٢٩.

(١٧٩) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق محمد عبد الرحمن عبد الله(بيروت ، دار الفكر، ط١، سنة ١٤٠٧هـ)، ٢٨٥/٣، للمزيد هنا إيضاح واسع.

قائمة المصادر والمراجع

◈ القرآن الكريم

١. البستاني محمود، دراسات في علم النفس الإنساني(النجف الاشرف – دار باقر ، ط٤ ، سنة ٢٠٠٨).

٢. ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق محمد عبد الرحمن عبد الله (بيروت – دار الفكر ط١ ، سنة ١٤٠٧هـ).

٣. ابن منظور(ت٧١١هـ)، لسان العرب. ضبط نصه وعلق حواشيه د. خالد رشيد القاضي (الجزائر – دار الابحاث ط١ سنة ٢٠٠٨)

٤. الثعلبي أبو اسحاق(ت٤٢٧هـ) ، الكشف والبيان في تفسير القرآن ، تحقيق سيد كسروي حسن (بيروت – دار الكتب العلمية ، ط١ ، سنة ٢٠٠٤).

٥. الجصاص الرازي أبو بكر احمد بن علي(ت٣٧٠هـ)، احكام القرآن(بيروت – دار الكتب العلمية ط١ سنة ١٤١٠ هـ)

٦. الجوهري اسماعيل بن حماد(ت٣٩٣هـ)، الصحاح. تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق احمد عبد الغفور العطار (بيروت – دار العلم للملايين ، ط٤ ، سنو ١٤٠٧ هـ)

٧. الحراني بن شعبه، تحف العقول (أعلام القرن الرابع) تحف العقول ، تحقيق علي اكبر غفاري (ايران – قم ، مؤسسة النشر الاسلامي ط٢ سنة ١٣٦٣هـ)

٨. الحربي إبراهيم بن اسحاق(ت٢٨٥هـ)، غريب الحديث ، تحقيق د. سليمان ابراهيم محمد العابر (السعودية – جدة ، دار المدنة للطباعة والنشر والتوزيع ، سنة ط بلا) .

٩. الزبيدي، محمد مرتضى (١٢٠٥هـ) ، تاج العروس من جواهر القادوس (بيروت – مكتبة الحياة سنة ط بلا) .

١٠. السجستاني سليمان ابن الاشعت، (٢٥٧هـ) ، سنن أبي داود ، تحقيق سعيد محمد اللحام (بيروت – دار الفكر ط ١ ، سنة ١٤١٠ هـ ١٩٩٠م)

١١. السيد قطب، في ظلال القرآن (دار الشروق ، ط٣ سنة ١٤٢٥هـ /٢٠٠٤ م)

١٢. الصدوق(ت٣٨١هـ)، أمالي الصدوق ، التحقيق والنشر – قسم الدراسات الاسلامية ، مؤسسة البعثة – قم المقدسة ط١ سنة ١٤١٧هـ).

١٣. الصدوق، (٣١٨هـ) علل الشرائع (النجف الاشرف ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م).

١٤. الطباطبائي محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن (لبنان بيروت ، دار الاضواء ، ط١ ١٤٣١هـ - ٢٠١٢م).

١٥. الطبرسي، ابو علي فضل بن الحسن (٥٤٨هـ) مجمع البيان لعلوم القرآن (ايران – المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) .

١٦. الطبري أبو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل القرآن تخريج صدقي جميل العطار (بيروت – دار الفكر ١٤١٥هـ).

١٧. الطريحي، فخر الدين (١٠٨٥هـ) مجمع البحرين ، تحقيق احمد الحسيني (مكتب نشر الثقافة الاسلامية سنة ١٤٠٨هـ) .

١٨. العسكري أبو هلال، معجم الفروق اللغوية (ايران- قم ، جماعة المدرسين ط١ سنة ١٤١٢هـ).

١٩. الفراهيدي الخليل بن احمد(ت١٧٥هـ)، كتاب العين تحقيق مهدي المخزومي – ابراهيم السامرائي (مؤسسة دار الهجرة ط٢ سنة ١٤٠٩هـ).

٢٠. الفيروز آبادي(ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط (مكان وسنة ط بلا).

٢١. القتال محمد بن الفتال النيسابوري، (٥٠٨هـ) ، روضة الواعظين ، تحقيق محمد مهدي الخرسان (ايران- قم المقدسة ، منشورات الرضي سنة ط بلا).

٢٢. الكركي، علي بن الحسين (٩٤٠هـ) ، الخراجيات ، تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي (قم المقدسة ، مؤسسة النشر الاسلامي ط١ سنة ١٤١٣هـ).

٢٣. الكليني، (٣٢٩هـ) الكافي ، تحقيق علي اكبر غفاري (اخوند دار الكتب الاسلامية ط٣ سنة ١٣٨٨هـ).

٢٤. المدرسي محمد تقي، من هدى القرآن (الناشر مكتب السيد المدرسي ط١ سنة ١٤٠٦هـ) .

٢٥. النحاس أبو جعفر(ت٣٣٨هـ)، معاني القرآن تحقيق محمد علي الصابوني (السعودية جامعة ام القرى ط١ سنة ١٤٠٩هـ).

٢٦. النووي، (٦٧٦هـ) شرح صحيح مسلم (دار الكتاب العربي – بيروت ط٢ سنة ١٤٠٧هـ) .

٢٧. الهيثمي، نور الدين (٨٠٧هـ) ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (بيروت دار الكتب العلمية ١٤٠٨- ١٩٨٨).

٢٨. عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي (بيروت – دار الكاتب العربي سنة ط بلا).

٢٩. عبد الله شبر، الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين قدم له د. السيد محمد بحر العلوم (الكويت مكتبة الفين ط١ سنة ١٤٠٧-١٩٨٦).

٣٠. علي بن الحسين السجاد (عليه السلام)، (٩٤هـ) الصحيفة السجادية ، تحقيق ونشر مؤسسة الامام المهدي (قم المقدسة ، ط١ سنة ١٤١١هـ) .

٣١. محمد أبو زهرة، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي (بيروت – دار الفكر سنة ١٩٨٦م) .

٣٢. محمد عبده، خطب الإمام علي (عليه السلام) ـ نهج البلاغة تحقيق وشرح محمد عبده (بيروت – دار المعرفة سنة ط بلا).